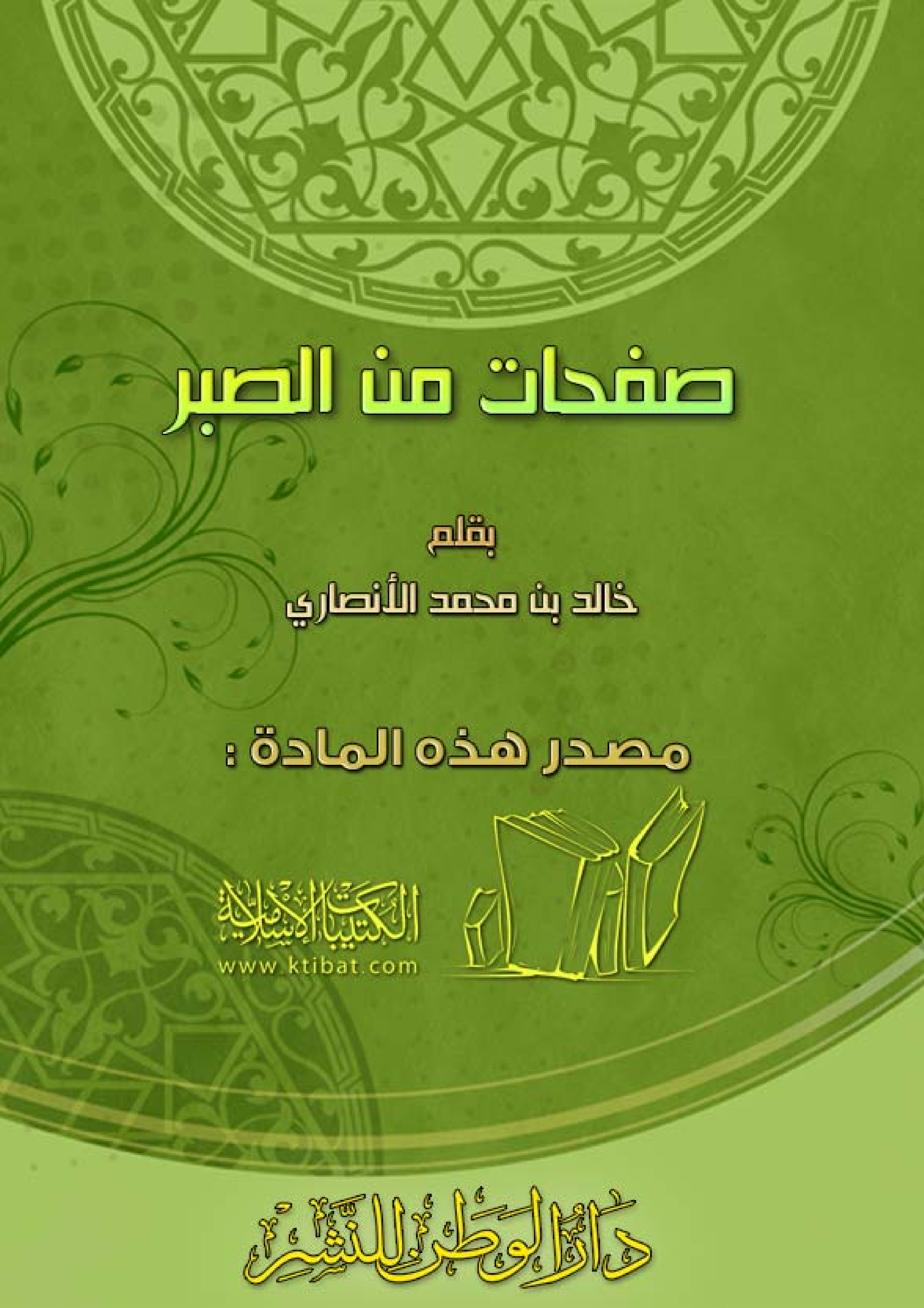

صفحات من الصبر
بقلم
خالد بن محمد الأنصاري
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. إمام الصابرين وقدوة الناس أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] [١]

وبعد:

فإن الصبر منزلة من منازل العبودية عند أهل السنة والجماعة[٢]

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ص يعلم أصحابه أن يجعلوها بين يدي كلامهم في أمور دينهم. أخرجها أبو داود (٢/٢٣٩) والترمذي (٣/٤١٣) والنسائي (٣/١٥٠) وابن ماجة (١/٦٠٩) والدارمي (٢/١٩١) وأحمد (١/٣٩٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في آخر فصل في الواسطية "جماع مكارم الأخلاق التي يتخلق بها أهل السنة والجماعة " فذكر منها قوله: ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر والرضا بمر القضاء اهـ.

وهو مطية للمؤمن في هذه الحياة يمتطي بها صعاب الأمور، ويبني بها مجده.

وبالصبر يبنى كل مجد ويرتقى
وبالصبر يعنو كل صعب من الأمر

فما أحوج العبد المؤمن إلى الصبر لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن والمغريات، والصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر كما في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**» قالوا يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «**بل أجر خمسين منكم**» [١].

قال الشاطبي رحمه الله [٢]:

وهذا زمان الصبر من لك بالتي
كقبض على جمر فتنجو من البلا
ولو أن عينًا ساعدت لتوكفت
سحائبها بالدمع ديمًا وهطلا
ولكنها عن قسوة القلب قحطها
فيا ضيعة الأعمار تمضي سبهللا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير (٢٥٧/٥) (٣٠٥٨) وأبو داود في الملاحم (١٤٣/٤) وابن ماجة (١٣٣٠/٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٢/١).

(٢) حرز الأماني للشاطبي (٥).

ولذا فقد سطرت هذه الرسالة المعنونة بـــ "صـــفحات مـــن الصبر" والتي تحمل الرقم الثاني ضمن سلسلة المجموعة العلمية.

فنسأل الله أن ينفع بها، وأن يخلص لنا النية في القول والعمـــل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عاصم خالد بن محمد بن صالح الأنصاري

مكة المكرمة في ليلة الجمعة ٢٣/ ١٤١٥/٥ هـــ.

تمهيد

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر: ١-٧].

أولا: الامتثال بالأمر، وأكمل صبر: قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله "المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ ما معناه: إن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ موجه للنبي ﷺ بأن يصبر ويحتسب، ويقصد بصبره وجه الله تعالى، وقد امتثل النبي ﷺ لأمر ربه جل وعلا ، وبادر فيه فصبر لربه أكمل صبر؛ صبر على طاعة الله وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة حتى فاق بصبره أولي العزم من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [١].

ثانيًا: الوصية العظمى والزاد الأصيل: قال سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ هي الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بالدعوة إلى الله تعالى أو تثبيت، والصبر هو الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة، معركة الدعوة إلى الله تعالى، وهي معركة طويلة لا زاد لها إلا الصبر الذي يقصد به وجه الله تعالى.. [٢].

ثالثًا: الحكم بالخسران والصفات الأربع: لقد حكم الله عز

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن (٥/٣٣٢) بتصرف.
(٢) انظر تفسير الظلال (٦/٣٧٥٥).

وجل بالخسران على كل من لم يتصف بهذه الصفات الأربع، والصبر من ضمنها وهي:

١- الإيمان بما أمر الله الإيمان به: ولا يكون الإيمان بدون العلم.

٢- العمل الصالح: وهو شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة.

٣- التواصي بالحق: الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي يوصي بعضهم بعضًا بذلك.

٤- التواصي بالصبر: على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة.

وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسارة ، وفاز بالربح العظيم [1].

رابعًا: لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر: قال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ

دببت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم
وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن (٥/٤٥٣)

الصفحة الأولى

تعريف الصبر وأقسامه

الصبر لغة: الحبس والكف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم [١] فالصبر إذن هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى:

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وفي القاموس: الصبر: نقيض الجزع، صبر يصبر، فهو صابر وصبير وصبور، وتصبر واصطبر واصبر [٢].

والصبر بكسر الباء: هو دواء مر يضرب به المثل لشدة مرارته، وهو موجود ويباع عند العطارين، ولذلك قال أبو العلاء المعري مشيرًا إلى وجوده وإلى فقدان الصبر المعهود:

الصبر يوجد إن باء له كسرت
لكنه بسكون الباء مفقود

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين (٢/٥٦١) بتصرف

(٢) القاموس المحيط (٥٤١).

وقال آخر:

الصبر أولــه مــر مذاقتــه　　لكن آخره أحلى من العسل

وللصبر ثلاثة أقسام:

أولا: الصبر على الطاعات:

وهو الصبر العظيم المطلوب منك أيها المسلم يوم تؤدي الطاعة، فتصبر عليها وتصابر نفسك لتؤديها على أكمل وجه [١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصبر على أداء الطاعات أكمل مــن الصبر على اجتناب المحرمات» [٢].

ثانيًا: الصبر عن المعاصي:

وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قولــه: ﴿**وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾ [النحل: ٩٠] فما أحوج العبــد إلى الصبر يوم يبتلى بالمعصية، أو حينما تدعوه نفسه الأمارة بالسوء إلى ارتكاب معصية، فيصبر ويحتسب.

وإذا عرتك بلية فاصبر لهـا　　عظمت بلية مبتلىً لا يصبر

ثالثًا: الصبر على الأقدار والمصائب والمحن:

يوم يكتب الله سبحانه وتعالى عليك من أقداره مــا يريــد أن يخفف به من ذنوبك، أو يرفع به من درجاتك [٣].

---

(١) صبر الأولياء (٩) بتصرف.
(٢) تهذيب مدار السالكين (٥/٥٦٢).
(٣) صبر الأولياء (٩).

والله يطلـــب منـــك شـــكر نعمتـــه
ما دمت فيهـــا ويبغـــي الصـــبر في المحـــن

* * *

الصفحة الثانية

الصبر في القرآن الكريم

أمر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ بالصبر في عدة آيات في كتابه العزيز. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ذكر الله ســبحانه، وتعالى الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وهــو واجــب بإجماع الأمة [١].

وللصبر عدة صور في كتاب الله جل وعلا، استطرد بــذكرها الإمام الحافظ ابن القيم في كتابيه: "عدة الصــابرين" و "مــدارج السالكين" وأذكر منها على سبيل المثال.

أولا: أن الله سبحانه وتعالى علق الإمامة في الــدين بالصــبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] قال سفيان: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

ثانيًا: أنه سبحانه بين أن الصبر مع التقوى من أسباب النصــر

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٠).

والثبات قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وانظر إلى ما حصل لنبي الله يوسف عليه السلام من العز والتمكين في الأرض، وما جرى له في قصر العزيز إنما هو بصبره وتقواه ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ثالثًا: أنه سبحانه أخبر عن مضاعفة الأجور للصابرين، وأنهم يجزون بأحسن أعمالهم قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

رابعًا: أنه سبحانه جعل الصبر من عزائم الأمور التي ينبغي لكل امرئ مسلم ذكرًا كان أو أنثى أن يلجأ إليها ويسعى لها، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

خامسًا: أنه علق الفلاح بالصبر فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سادسًا: أنه أثنى على بعض عباده بالصبر كما أثنى على أيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

سابعًا: أنه أخبر أن ملائكته يدخلون الجنة فيسلمون على المؤمنين في الجنة لصبرهم قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[الرعد: ٢٣، ٢٤].

ثامنًا: أنه جعل الصبر عونًا، وأمر بالاستعانة به في كل نازلة تنزل بالعبد، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

الصفحة الثالثة

الصبر في السنة النبوية

لقد حظيت السنة النبوية بأحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في بيان فضل الصبر والحث عليه، ولما لصاحبه من الأجر والثواب حتى بوب العلماء رحمهم الله في ذلك عدة أبواب؛ فنجد مثلاً الإمام البخاري رحمه الله المتوفى سنة ٢٥٦ هـ في الصحيح قد بوب في كتاب الجنائز: باب الصبر عند الصدمة الأولى، وفي كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، وفي كتاب مناقب الأنصار: باب اصبروا حتى تلقوني على الحوض. وهلم جرا.

ومن الأحاديث الواردة في فضل الصبر على سبيل التقريب والاختصار ما يلي:

أولا: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «.. **وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**» [١].

ثانيًا: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قسم مالا فقال بعض الناس: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، انظر الفتح (٣٠٩/١١) ومسلم في كتاب الزكاة. انظر شرح النووي (١٤٤/٧، ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم انظر الفتح (٢٩٠/٦).

ثالثًا: عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: ومـــا تبالي بمصيبتي! فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثـــل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[١].

رابعًا: عن ابن عباس رضي الله عنـــهما أن الـــنبي ﷺ قـــال: «**واعلم أن النصر مع الصبر**» [٢].

خامسًا: عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عبـــاس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع لي، فقال: «**لا، إن شئت صبرت، ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيـــك**» فقال: إني أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها[٣].

سادسًا: عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقـــول: «**إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضـــته منـــهما**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة الأولى، انظر الفتح (٢٠٥/٣) ومسلم في كتاب الجنائز، باب في الصبر عند الصدمة الأولى، انظر شرح النووي (٢٢٧/٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٢/١) (٣٠٨٣) والحاكم في مستدركه (٦٢٣/٣) (٦٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح، انظر الفتح (١١٩/١٠).

الجنة» [١].

سابعًا: عن أبي يحيي أسيد بن حضير رضي الله عنه أن رجـــلاً من الأنصار قال: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ فقال ﷺ: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**» [٢].

ثامنًا: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أيمـــا رجل كره من أميره أمرًا فليصبر، فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**» [٣].

تاسعًا: عن ابن عمر رضي الله عنهما عـــن الـــنبي ﷺ قـــال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الـــذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[٤].

عاشرًا: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، انظر الفتح (١٢٠/١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: **اصبروا حتى تلقوني على الحوض**" انظر الفتح (١٤٦/٧) ومسلم في الزكاة. انظر الشرح للنووي (١٥١/٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "سترون بعدي أمورًا تنكروها" انظر الفتح (٧/١٣).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٥٠٧) والبخاري في الأدب المفرد باب الذي يصبر على أذى الناس (١٧١) (٣٨٨) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٥٣، ١٥٤) (٣٠٠).

«.. **والصبر ضياء..»** [1] نعم ضياء ينير لك الظلام، ويمهد لك الطريق، ويفتح لك السدود والأبواب بإذن الواحد الوهاب.

* * *

الصفحة الرابعة

أقوال في الصبر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت» وقال: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[2].

وقال علي رضي الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو» [3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أفضل العدة الصبر على الشدة»[4].

وسئل الجنيد عن الصبر؟ فقال: «تجرع المرارة من غير تعبس»[5].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، انظر الشرح للنووي (٣/٩٩).

(2) أدب الدنيا والدين (٢٧٨) والبخاري تعليقًا في كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله، انظر الفتح (١١/٣٠٩).

(3) أدب الدنيا والدين (٢٧٨).

(4) نفس المصدر.

(5) تهذيب مدارج السالكين (٢/٥٦٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده» [١].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله» [٢].

وقال ميمون بن مهران رحمه الله: «ما نال عبد شيئًا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر» [٣].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعوضه مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه منه» [٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين" [٥].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجنديًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم ولا يثلم" [٦].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢٩٥).
(٢) تسلية أهل المصائب (١٣٢).
(٣) روضة العقلاء (١٢٧).
(٤) تسلية أهل المصائب (١٣٢).
(٥) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩/١٠) وتسلية أهل المصائب (١٢٥).
(٦) عدة الصابرين (١٨).

الصفحة الخامسة

نماذج من الصابرين

إمام الصابرين: إن الصبر سمة من سمات صفوة الله من خلقه الأنبياء والمرسلين، وهذا نبينا ﷺ إمام الصابرين قد لقي من قومه أشد أنواع الأذى فصبر على ما لقي، وبذل من الجهد في سبيل نشر هذه الدعوة ما بذل.

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد سئل عن أشد ما صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] [١].

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيضعه على كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، وجاءت فاطمة فأخذته عن كتفيه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة انظر الفتح (٧/٢٠٣).

ودعت على من صنع ذلك [١].

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فجاء ملك الجبال فسلم ثم قال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**، فقال له رسول الله ﷺ : «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده ولا يشرك به شيئًا**»[٢].

على خشبة الموت: هذا خبيب بن عدي رضي الله عنه وأرضاه أمسك به المشركون من قريش وأسروه، ثم جاءوا به ليقتلوه ويصلبوه على جذع نخلة بمكة، فتلفت وما حوله إلا شانئ معاند مبغض، وهو رجل وحيد أعزل مكبل بالقيود ليضرب الآن بالسهام، فما الذي كان؟! استأذنهم أن يصلي ركعتين، فصلى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار. انظر الفتح (٢٠٢/٧) ومسلم كتاب الجهاد والسير. انظر الشرح للنووي (١٥١/١٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، انظر الشرح للنووي (١٥٤/١٢).

ركعتين، ومن ذلك سنت صلاة ركعتين عند القتل، ثم قام فتلفت إليهم تلفت المؤمن الصابر الواثق بنصر الله عز وجل وهو يقول [١]:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهد
علي لأني في وثاق بمضبع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممَّنع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي فقد بضعوا لحمي وقد يأس مطمعي

وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميَّت
ولكن حذاري حجم نار ملفع
ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

---

(١) انظر الأبيات في البداية والنهاية (٤/٦٩).

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
ولست بمبد للعدو تخشعًا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

ماشطة ابنة فرعون: أورد الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:«**لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذا سقط المشط من يدها فقالت: باسم الله، فرفعت البنت رأسها وقالت: أبي الله؟ قالت: بل ربي وربك ورب أبيك الله رب العالمين، فقالت: أخبر والدي بهذا؟ فقال: أخبريه. فجاءت لأبيها وقالت: الماشطة تقول كذا وكذا، فدعاها فقالت: نعم، ربي وربك الله رب العالمين، وكان لها ثلاثة أطفال فأحضر الطاغية الجبار قدرًا نقره من نحاس، فأوقد عليها حتى أصبحت جمرة حمراء تتلهب، ثم أخذ ابنها من على كتفيها ليلقيه في القدر فينحمس فيه كما تنحمس الحبة، وما هي إلا لحظة، حتى يتجمع فيصبح فحمة سوداء، فتقول له بكل ثبات: لي إليك حاجة، قال: و ما حاجتك؟ قالت: أن تجعلني وأولادي وعظام أولادي في قبر واحد، قال: ذلك لك علينا من الحق أي لا مانع، ثم يأخذ الآخر ويجره وقد أمسك بثوبها فيلقي به في القدر، أي صبر هذا؟ ثم أمر**

بها، فلما قربت تقاعست فقال لها ابن معها صغير: يا أماه اصبري فإنك على الحق، فألقت بنفسها في النار، ثم أخذ الثالث فألقى به على إثرها» [1].

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٠-١٣].

ألم تـر أن الله أظهـر دينـه
وصب على الكفـار سـوط عـذاب

وقد أدرك فرعون شؤم هذه الفعلة الشنعاء وما ماثلها من الأفعال الشنيعة التي تجلى فيها طغيانه، فإذا الله عز وجل يأخذه أخذ عزيز مقتدر: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إمام أهل السنة:

إنه الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة، صار مثلاً رائعًا يضرب به المثل في الصبر على الحق، فلقد أعطي من الصبر واليقين ما نال به الإمامة في الدين، فقد تداوله ثلاثة خلفاء يسلطون عليه من شرق الأرض إلى غربها من أجل "القول بخلق القرآن" ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والولاة ما لا يحصيه إلا الله؛ فبعضهم تسلط عليه بالحبس وبعضهم بالتهديد، وبعضهم يعده بالقتل وبغيره من الرعب، وبعضهم بالترغيب في الرياسة

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٩/١) برقم (٢٨٢٢) وانظر البداية والنهاية (٣٠٨/١).

والمال.

وبعضهم بالنفي والتشريد من وطنه، وقد أدخل السجن وامتحن امتحانًا ما شهد له مثيل؛ فقد ضرب بالأسواط حتى أغمي عليه، فلما أفاق يومًا من إغمائه صلى الظهر والدم يسيل في ثوبه، فقيل له في ذلك، فقال:" قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دمًا". وأثقلت يداه بالحديد، وتصبر على الجوع والعطش، كل ذلك من أجل مبدئه ومنهجه، وقد خذله في ذلك أهل الأرض حتى أصحابه من العلماء والصالحين، وهو مع ذلك لا يجيبهم إلى كلمة واحدة مما طلبوا منه، وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة، وما كتم العلم ولا استعمل التقية ، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره ما دفع به البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت لعالم من نظرائه، وقد انتقم الله له من بعض أعدائه باستجابة دعوته في شيخ المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد، فشل نصف جسمه وسلم الآخر، فقيل لابن أبي دؤاد: كيف حالك؟ فقال: أما جسدي هذا فوالله لو وقع عليه ذباب كأن القيامة قامت، وأما جسدي هذا فوالله لو قطع بالمناشير قطعة قطعة، ما أحسست به.

ونصر الله إمام أهل السنة والجماعة لصبره على منهجه، وتحمل من الأذى الشيء الكثير من أجل نصرته لهذا الدين [1].

أضحى ابن حنبل منحة مرضية ... وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمدٍ متنقصا ... فاعلم بأن ستوره ستُهَتَّك

---

(1) انظر سير أعلام النبلاء (٢٣٢/١١) بتصرف.

الصفحة السادسة

نقائض الصبر

للصبر عدة نقائض منها على سبيل المثال:

١- **الجزع**: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

قال عمرو بن بكير:

صبرت فكان الصبر خير مغبة
وهل جزع يجدي عليَّ فأجزع

وقال الإمام الشافعي:

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

٢- **الغضب**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه وقت الغضب**»[١].

٣- **الاستخفاف**: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ،باب الحذر من الغضب .انظر الفتح (١٠/٥٣٥)

٤- **الاستعجال**: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فاستعجال النتائج والخطوات واستعجال العذاب الذي ينزل بالكافرين كل ذلك نقيض للصبر، والله تعالى أمر رسله الكرام بالصبر ونهاهم عن الاستعجال، ولهذا جاء في الصحيحين من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه أن الصحابة اشتكوا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فجلس محمرًا لونه ثم قال: «**إن فيمن كان قبلكم كان يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل فرقتين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون**» [(١)].

اصبر وكن بالله معتصمًا
لا تعجلن فإن العجز في العجل

٥- **اليأس**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. أما المؤمنون فصابرون مؤمنون بوعد الله تعالى، لا يجد اليأس إلى قلوبهم سبيلاً:

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيأسن فإن الفارج الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، انظر الفتح (٧/٢٠٢).

٦- **الجزع عند لقاء العدو**: لقوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**لا تمنوًّا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا**»[١].

٨- **العمل بدعوى الجاهلية**: ومن ذلك شق الثياب، ولطم الخدود، والنياحة على الميت: ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**» [٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، وانظر الشرح للنووي (١٥/٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ليس منا من لطم الخدود انظر الفتح (١٩٥/٣).

ومسلم في الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب. انظر الشرح للنووي (١٠٩/٢).

الصفحة السابعة

الأسباب المعينة على الصبر

١- تقوى الله في السر والعلن: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] نعم إذا اتقيت الله تعالى باتباعك أوامره واجتنابك نواهيه ،بأن يراك في مكان قد أمرك به، وألا يراك في مكان قد نهاك عنه؛ جعل لك مخرجًا من كل سوء، ومن كل فتنة وبلاء، وأعانك على ذلك بالصبر.

٢- الاسترجاع: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها**».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ [1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، انظر الشرح للنووي (٦/٢٢٠).

٣- تذكر مصاب الآخرين: فإن ذلك يهون عليك مصابك ويعينك على الصبر.

قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

٤- مرافقة الصالحين ومجالستهم: وإن لم يكن منك إلا محبتهم فقط فإن ذلك يعينك على الصبر.

قال الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي   وإن كنا سواء في البضاعة

٥- حفظ البصر من النظر إلى المحرمات: كالنظر إلى المسلسلات الماجنة مثلا، أو النظر إلى الصور الخليعة العارية، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ [النور: ٣٠] وفي حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن النظر سهم من سهام إبليس**»(١) وقديمًا نظر أحدهم إلى امرأة لا تحل له فرمقه أحد الصالحين فقال له: والله لتجدن مرارتها أو مغبتها ولو بعد حين، فنسي كتاب الله بعد ردح من الزمن.

---

(١) أخرجه الحاكم في كتاب الرقاق (٣٤٩/٤) (٣١٤) وقال: صحيح الإسناد.

كـــل الحـــوادث مبـــداها مـــن النظـــر

ومعظم النـــار مـــن مستصـــغر الشـــرر

كم نظـــرة فتكـــت في قلـــب صـــاحبها

فتـــك الســـهام بـــلا قـــوس ولا وتـــر

٦- تذكر الموت والمال إلى الدار الآخرة: قال تعالى: ﴿كُـلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هازم اللذات**»[1] فعلى المسلم أن يكثر من ذكـــر المـــوت ، ويتصبر بذكره على المصائب التي تحل به والابتلاءات.

المـــوت بـــاب وكـــل النـــاس داخلـــه

يا ليت شعري بعـــد البـــاب مـــا الـــدار

٨- الدعاء سلاح المؤمنين: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْـرِغْ عَلَيْنَـا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـافِرِينَ﴾ [البقـرة: ٢٥٠].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (١٤٢٢/٢) (٤٢٥٨) والنسائي (٤/٤) والترمذي (٥٥٣/٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤/١).

الصفحة الثامنة

من ثمرات الصبر

١- **دخول الجنة:** قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

٢- **النصر على الأعداء:** قال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقال ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر**» (١).

٣- **محبة الله للعبد:** قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٤- **المغفرة والأجر الكبير:** قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

٥- **الإمامة في الدين:** قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٦- **إطلاق البشري لأهل الصبر:** قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٧- **أن الصابر لا يزال مستضيئًا بنور الهداية:** مستمرًا على

---

(١) تقدم تخريجه (١٣).

الصواب مع ما في ذلك من حصول الأجر والثواب، وذلك مصداقًا لقوله ص: «**والصبر ضياء**» [١].

٨- **إن الله مع الصابرين بهدايته ونصره:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

وفيه تقرير لاعتقاد أهل السنة والجماعة وهو إثباتهم لمعية الله عز وجل الخاصة والعامة، ومن الخاصة تولِّي الله للصابرين حيث تكفل بعنايتهم وحفظهم.

(١) تقدم تخريجه (١٤).

الصفحة التاسعة

أحاديث ضعيفة في الصبر [١]

١- **الصبر ثلاثة**: فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. و من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى الأرضين السبع، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين. (ابن أبي الدنيا في "فضل الصبر"، وأبو الشيخ في "الثواب" علي .

٢- انتظار الفرج بالصبر عبادة (ابن جميع في "معجم الشيوخ" والقضاعي في "مسند الشهاب") عبد الله بن عمر وأنس.

٣- الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، (فر) أنس (هب) علي موقوفًا.

٤- الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. (حل، هب) ابن مسعود.

٥- الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب، ويدخل الله

---

(١) انظر هذه الأحاديث في ضعيف الجامع الصغير (٥١٦-٥١٧) وسلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، وأثرها السيئ في الأمة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله.

صاحبه الجنة بغير حساب (طب) الحكيم بن عمير الثمالي.

٦- الصبر عند الصدمة الأولى، والعبرة لا يملكها أحد: صبابة المرء على أخيه(ص) الحسن مرسلاً.

٧- الصبر رضا (الحكيم وابن عساكر) أبو موسى.

٨- "من ابتلي فصبر، وأعطى فشكر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر" ثم سكت. قالوا: ما له يا رسول الله؟ قال: "أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" [١] طب عن سخبرة.

الخاتمة

أسأل الله العليم العظيم أن يجعلنا من الصابرين، وأن يدخلنا جنته جنات النعيم، وأن يعيذنا من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه وسلم.

(١) النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة (٩٩) لأبي إسحاق الحويني.